٥٠ ـ المصريون المحدثون
شمـــائلهم وعاداتهم

في النصف الأول من القرن التاسع عشر

تأليف المستشرق الانجليزي ادورد وليم لين

للأستاذ عدلي طاهر نور

تابع الفصل الرابع عشر — الصناعات

تعتبر الزراعة أهم أعمال المصريين، ويباشرها كما سبق أن ذكرت جميع السكان ما عدا القليل منهم. ويخصب النيل الجزء الأكبر من الأراضي القابلة للزراعة بفيضانه السنوي. ولكن الحقول التي تجاور النهر والقنوات الكبيرة يحفر فيها جور للماء وتروى بآلات مختلفة الأنواع. والشادوف أكثر هذه الآلات شيوعاً، وهو يتكون من عمودين من الخشب، أو من الطين والعصى، أو من الطين والبردى، يرتفعان إلى خمس أقدام تقريباً، ويبلغ ما بينهما أقل من ثلاث أقدام، ويعلوها قطعة خشبية أفقية تمتد من قمة إلى أخرى، ويعلق بها عتلة رفيعة تتكون من فرع شجرة، وينتهي أحد طرفيها بثقالة من الطين، والطرف الآخر بوعاء يعلق بواسطة قضيبين طويلين من النخيل، ويصنع الوعاء على شكل طاس من السلال أو من طوق ونسيج من الصوف أو الجلد. ويرفع الماء في هذا الوعاء إلى علو ثماني أقدام تقريباً ويقذف به في حوض معد لذلك. ويلزم لرفع المياه إلى الحقول في أعالي الصعيد عند ما ينخفض النيل أربعة شوادیف أو خمسة. وهناك شواديف كثيرة ذات عتلتين يحركها رجلان. ويعتبر الري بالشادوف عملاً شاقاً للغاية. وتوجد آلة أخرى للري وهي « الساقية » وتكاد تكون وحدها المستعملة لري الحدائق في مصر. وتتكون الساقية خاصة من عجلة عمودية ترفع المياه في مجموعة متتابعة من أوعية فخارية مشدودة بحبال، وعجلة عمودية ثابتة ذات ضروس مثبتة إلى المحور ذاته، وعجلة كبيرة أفقية ذات ضروس يديرها ثوران أو بقران أو حيوان واحد فتحرك العجلتين السابقتين. وتصنع الآلة صناعة غليظة ويحدث تحريكها طقطقة كريهة. وهناك آلة ثالثة تسمى « تابوت » يستعملها المصريون لري الأراضي شمال مصر حيث لا يلزم رفع المياه إلا لارتفاع قليل. ويشبه التابوت الساقية نوعاً، والفرق الرئيسي بينهما أن للتابوت، بدلاً من عجلة الساقية ذات الأوعية، عجلة كبيرة مجوفة الدائرة ترفع فيها المياه. وتستعمل (القطوة) في الأقاليم نفسها. وهي وعاء مثل وعاء الشادوف يشد إلى حبال أربعة، ويستعمل كثيراً لرفع المياه إلى جرة التابوت. ويحرك القطوة رجلان يمسك كل منهما بحبلين. وتقسم الأرض في نظام الري الصناعي إلى مربعات صغيرة يحدها ارتفاع من التراب أو إلى أخاديد، فيسيل الماء من الآلة في قناة ضيقة إلى المربعات أو الأخاديد الواحد تلو الآخر

لا تزرع الأراضي (الري) أي التي يغمرها الفيضان، ما عدا القليل منها، إلا مرة واحدة في السنة فيبذر القمح والشعير والعدس والفول والترمس والحمص الخ بعد انسحاب المياه في آخر اكتوبر أو ابتداء نوفمبر تقريباً. ويسمى هذا الموسم «الشتوي». أما الأراضي « الشراقي » وهي التي لا يصل إليها الفيضان لعلوها وبعض الأراضي « الري » فتنتج ثلاث غلات سنوياً بفضل الري الصناعي، وإن لم تكن الأراضي الشراقي جميعها تزرع هكذا. وتنتج الأراضي التي تروى صناعياً أولاً المحصول الشتوي، إذ هي تبذر مع الأراضي الري في وقت واحد، بالقمح والشعير على العموم. وعقب ذلك تبدأ زراعة الصيفي أو ما يسمونه في الصعيد القيضي

---

٢٥ — شمعون بالشين المعجمة والميم والعين المهملة. هكذا ضبطه صاحب القاموس

٢٦ — سمغون، مثل السابق، إلا أنه بالغين المعجمة ذكره أيضاً القاموس

٢٧ — سنهور، بالسين المهملة (القاموس والتاج وياقوت)

٢٨ — شنهور كالسابقة، لكنها بالشين المعجمة (التاج)

٢٩ — بركون (القاموس وياقوت)

٣٠ — جوع برقوع. قال الشارح: « كعصفور وصعفوق جاء الأخير نادراً ندرة صعفوق ». اهـ

الخلاصة:

ليس فعلول من الأوزان النادرة، وقد ذكرنا من الشواهد على كثرتها وهي ثلاثون. ولو أمعنا في البحث لصعفناها، وربما ضاعفناها، لكننا اجتزأنا بهذا القدر إثباتاً لما ذكرناه، من أن هذه القاعدة، وهي ليس لفعلول سوى حرفين، غير صحيح ألبتة، فيجب نقضها وتذريتها في الهواء هباء منثوراً!

ايوب أنسطاسي مارى الكرملي
من أعضاء مجمع فؤاد الأول للغة العربية

أو « الجيضى » وتكون عند الاعتدال الربيعى تقريباً أو بعد ذلك فيزرع « الذرة الصيفى » أو النيلج أو القطن الخ . وأخيراً تأتى الزراعة « الدميرى » مدة ارتفاع النيل وتبدأ عند الانقلاب الصيفى أو بعده بقليل ، فتبذر « الذرة الصيفى » مرة أخرى أو « الذرة الشامى » الخ . وهكذا تجود الأرض بمحصول ثالث . ويزرع القصب على مساحة كبيرة فى الصعيد . ويزرع الأرز فى الأراضى المنخفضة قرب البحر الأبيض المتوسط

يستعمل المصريون (النورج) لفصل حبوب القمح والشعير وقطع القش للعلف . والنورج آله على هيئة مقعد تسير على عجلات حديدية صغيرة ، أو صفائح مستديرة دقيقة ، عددها على العموم إحدى عشرة عجلة مثبتة إلى ثلاثة محاور ، أربع عجلات فى المحور الأمامى ، وأربع فى المحور الخلفى ، وثلاث فى المحور الأوسط . ويجر النورج بقرتان ، أو ثوران يدوران فى حلقة فوق الحبوب . أما المحراث وآلات الفلاحة الأخرى ، فهى ذات نوع بدائى .

تشغل الملاحة النيلية عدداً كبيراً من المصريين . وأغلب نوتية النيل أقوياء بارزو العضلات . وهم يقاسون مشقة شديدة فى التجديف وسحب المراكب ودفعها (بالمدرة) ، ولكنهم كثيرو الجذل ؛ ويزيد سرورهم كلما كثر عملهم ، إذ هم يسلون أنفسهم بالغناء . ويتعرض أكثر الربابنة خبرة إلى جنوح سفنهم نتيجة للتغيرات المتواصلة التى تحدث فى مجرى النيل ، ويلزم حينئذ أن ينزل البحارة إلى الماء لدفع المركب بظهورهم وأكتافهم . وتصنع المراكب النيلية بطريقة تمنعها من الاصطدام بحيث يغوص مقدمها فى الماء عن مؤخرها ، ومن ثم يلزم أن تكون الدفة كبيرة جداً . وتكون أحسن أنواع المراكب النيلية ، وهى كثيرة العدد ، بسيطة الشكل رشيقة . وتكون غالباً على طول بين ثلاثين وأربعين قدماً . ويكون لها ساريتان وشراعان مثلثان كبيران ، وثرة تتلو المؤخرة وترتفع إلى أربع أقدام تقريباً[1] ، وتشغل القمرة ربع المركب أو ثلثها طولاً ؛ وكثيراً ما تشغل الثلثين أو أكثر . ويستخدم عادة ملاح ليمسك حبل الشراع الرئيسى إذ أن الزوابع الفجائية تكثر على النيل فيستطيع أن يترك الشراع يخفق عند أقل إشارة . ويجب أن يكون المسافر حذراً بصفة خاصة مما اعتدل الجو

عدلى طاهر نور

(١) وأصبحت قمرات المراكب أخيراً أكثر ارتفاعا ، لتلائم حاجات السياح الأوربيين